المثاني

عبد الوهاب عزام



المثاني

المثاني

تأليف
عبد الوهاب عزام



المثاني

عبد الوهاب عزام

رقم إيداع ٢٠١٣/٧٨٨٦
تدمك: ١ ٢٧٨ ٧١٩ ٩٧٧ ٩٧٨

كلمات للترجمة والنشر

ص.ب. ٥٠، مدينة نصر ١١٧٦٨، القاهرة
جمهورية مصر العربية
تليفون: ٢٢٧٠٦٣٥٢ ٢٠٢ + **فاكس:** ٣٥٣٦٥٨٥٣ ٢٠٢ +
البريد الإلكتروني: kalimat@kalimat.org
الموقع الإلكتروني: http://www.kalimat.org

الغلاف: تصميم إيهاب سالم.

إهداء الكتاب

إلى والدي الكريمين رحمهما الله اللذين أورثاني فيما أورثاني حب الخير، والخضوع للحق، والإباء على الباطل.

من وراء السنين أهدي كتابا   فيه من حكمة الحياة سطور
في مكان به القريب بعيدٌ   وزمانٍ به القليل كثير

عبد الوهاب عزام

التصوف والسياسة

بقلم عباس محمود العقاد

كان أول ما قرأت من شعر الدكتور عزام ديوانًا لطيفًا جمع بين طائفة من مترجماته للشاعر المتصوف محمد إقبال الملقب بشاعر الإسلام، وطائفة من مبتكرات عزام في المعاني الصوفية أو المعاني الروحية، وتشابه النسق في الشعرين لأنهما في العربية من كلام ناظم واحد، وتشابه الجوان، ولا أقول تشابه المعنيان، حتى لقرأت مثنوية لعزام حسبتها من كلام إقبال، ولم أصحح هذا السهو إلا بعد مراجعة وتحقيق.

لا يتشابه الجوَّان الروحيان هذا التشابه لأن الدكتور عزام يعجب بإقبال ويترجم كلامه إلى العربية، فلا بد من سليقة صوفية في روح شاعرنا العربي توحي إليه معانيه وخواطره، ولا شك أن الأصح من القولين أن هذه السليقة الروحية في نفس عزام هي التي حبَّبت إليه إقبالًا ومالت به إلى الإعجاب بشعره، فهذه السليقة هي مصدر الإعجاب بإقبال، وليس الإعجاب بإقبال مصدرها الأول ومبعثها الأصيل.

وعُدتُ أقرأ لعزام بعد ذلك الديوان اللطيف فلم يزل هذا الخاطر يثبت عندي ويتمكن كلما قرأت له جديدًا من الشعر أو قديمًا فاتني أن أقرأه في حينه، ثم قرأت هذه المثاني وفي ذهني هذا الخاطر فلم يزل يثبت كذلك ويتمكن كلما تتبعت أبياتها وموضوعاتها، حتى أكاد أنقل الديوان، أو معظمه، إذا أردت أن أسوق الشواهد على أصالة السليقة الصوفية في نفس الشاعر العالم الأديب.

لا يحتاج أن يقتبس الصوفية من أحد من يلهمه ضوء القمر على صفحة البحر أن يقول:

أحسب البدر ساطعًا نبع ماء فأرجِّي لديه تطهير ذنبي
وأراه من الأشعة فيضًا أتمنى لديه تنوير قلبي

أو يقول:

ذلك الماء والأشعة طُهر وصفاءٌ يُخال نورًا وبحرَا
إيه يا نفسُ فاطهري وأضيئي واشربنْ يا فؤاد صفوًا وطهرَا

فليس أشبه بفطرة المتصوف من تطهير النفس بجمال الكون ومن اتخاذ الجمال واسطة إلى الله.

ولا يحتاج أن يقتبس الصوفية من أحد من يفرق بين شريعة الباطن وشريعة الظاهر هذا التفريق:

قيل هذا محلَّل لا تدعه قلت هذا الحلال عندي أثام
هو في شرعة الفقيه حلال وهو في شرعة القلوب حرام

فهذا ميزان التصوف من قديم الزمن للفضائل الظاهرة والفضائل الخفية، وقصة موسى والخضر عليهما السلام خير مذكِّر بهما من آي القرآن الكريم.

ومن أعماق التصوف أن تواجه النفس آفاق الأبد متحررة من حدود الأزمان كما قال الشاعر:

لا يبالي الأحرار في هذه الأر ض حدود البقاع والأوطان
ومن الناس من يحرَّر حتى لا ترى نفسُه حدود الزمان

أو كما قال:

فلك دائر وصبح ومُسيٌّ   أخذ الناس في الزمان دُوار
حرر النفس من نهار وليل   تجد الدهر ما به تكرار

وإذا اقتبس الناقل في معاني التصوف فإنما يقتبس العبارة المتفرقة هنا وهناك ولا يقتبس السليقة التي تنظر إلى كل شيء بمنظار واحد فيما هو قريب وما هو بعيد من لباب الحقيقة الصوفية، وهذه السليقة هي التي أوحت إلى شاعر المثاني أن يجعل للصلاة وضوءًا من العفة إلى جانب الوضوء من الماء.

اسأل الظالم المصلي من ذا   قد أحلَّ الصلاة للظُّلَّام
أول الطهر للصلاة اغتسال   يرحض النفس من حقوق الأنام

ولا أريد أن أنقل الديوان كله أو معظمه، كما أسلفت، في معرض الشواهد التي تبدي هذه النظرة في مختلف المنظورات، فسيراها القارئ غير معتمد على الشواهد، وسنزيد عليها فيما يلي شواهد أخرى في سياق غير هذا السياق.

يقول القارئ: عجب! أصوفي وسياسي؟ إن الدكتور عبد الوهاب عزام — كما يعلم القراء — سفير مصر الموفق عند دولة الباكستان، وهو مِنْ ثَمَّ في زمرة أهل السياسة الذين مثلوا لأبناء عصرنا في مثال يقول القائل منهم ما يشاء، إلا أنه مثال الصوفية والمتطهرين.

وإنني لأرحب بهذه المناسبة لأنها أصلح المناسبات لتجلية النفس الإنسانية وتصحيح الموازين الأدبية والفكرية في معرض من أهم معارض البحث الحديث، وهو البحث في حدود الملكات ومصادر الأعمال والنيات، وهنا موضع الشواهد التي قلنا قبل سطور إنها تدل على السليقة لأنها تأتي — على قصد وعلى غير قصد — في نسق واحد حين ينظر الشاعر إلى جميع المنظورات، وسنورد فيما يلي بعض الشواهد على السليقة التي تربط بين التصوف وبين السياسة في أشرف معانيها، وإنها لأقرب شيء في هذه المعاني إلى مثال الصوفية والمتطهرين.

لا عجب في أن يجمع شاعر المثاني بين السليقة الصوفية وملَكة السياسة؛ لأنه يدين بالصوفية التي دعته إلى الإعجاب بشعر إقبال، وما كان إقبال من متصوفة «الفناء» الذين

يقولون «لا» حين يواجهون العالم أو يواجهون الوجود من ظاهره إلى خافيه، ولكنه كان من متصوفة «الثبوت» الذين يقولون «نعم نعم» لكل مظهر من مظاهر الحياة أو الوجود.

تصوف لا يهرب من غمرة الحياة؛ لأنه:

إنما يعرف التصوف في السو ق بمال ومطمع وفُتون

وتصوف لا ينكص عن المعالي، لأن المعالي إذا ملأت النفس أخرجت منها وساوس الشيطان:

املأ النفس بالمعالي وإلا ملأتها وساوس الشيطان

ومثل هذا التصوف والعمل في ميادين السياسة لا يتناقضان، ولا سيما تصوف «السفارة» وهو من الألف إلى الياء وئام وسلام. يقول المتصوف كما يقول السياسي السفير مع الشاعر:

أمنح الناس مسمعي وحديثي وألاقي كلامهم بكلام
وسوى ذاك في الفؤاد حديث من وراء الأسماع والأفهام

ويقول المتصوف كما يقول السياسي السفير مع الشاعر:

قلت للنفس ساء ظني بالنا س وشاهت وجوههم والسماتُ
قالت: اصقل مرآة نفسك وانظر رُبَّ وجه تُشَوِّهُ المرآة

ويقول المتصوف كما يقول السياسي السفير مع الشاعر:

كم بهذا الأنام أحسنت ظنًّا فنهتني عواقب التجريب
ثم عاودت فيهم حسن ظني آملًا فيهم صلاح القلوب

ويقول المتصوف كما يقول السياسي السفير مع الشاعر:

إن في النفس بغضةً لأناس أصلحنْهم وحببنْهم إليَّا
واغسل الحقد والهوى من فؤادي واجعلنِّي لكل حقٍّ وليَّا

وجماع ذلك كله قوله في ضبط النفس مفرقًا به بين الحر والعبد:

قيَّد الحر نفسه برضاه وأبى في الحياة قيدَ سواه
وترى العبد راضيًا كل قيد غير تقييد نفسه عن هواه

فهذه خصال تلتقي كلها في فضائل المصافاة والتغاضي وأخذ الناس بالحسنى وبسط المعاذير، مع ضبط النفس وتغليب الحكمة على الهوى في جميع الأحوال، وكلها من ملازمات الصوفية، وكلها كذلك من ألزم لوازم السفارة بين الأمم والآحاد.

وأحسب القارئ يحيط الآن بما عنيناه حين قلنا إن المتصوف الناقل قد يقتبس من التصوف عبارة هنا وعبارة هناك ولا ينظر بالعين «المتصوفة» إلى جميع المنظورات على هذا المنوال، وبهذه السليقة يتلاقى المتصوف والسفير أحسن لقاء.

على أن الشاعر السياسي كان سفيرًا بين مصر والشرق بعلمه قبل أن يكون سفيرًا لهما بعمله، وكان لدراسته الفارسية والأُردية أثر في تقريب ثقافتهما يُحسَب من سفارات الأدب التي تعاون فيها العلم والعمل، ومن هذا التقريب الذي لم يُسبَق إليه: تعريفه قراء العربية بتاريخ الرباعية في الآداب الفارسية والعربية؛ فهو أوفى ما كُتِبَ بلغتنا في هذا الموضوع.

وستكون هذه المثاني صلة جديدة بين آدابنا وآداب الفرس والهنود، فإنها تجدد لنا القالب الذي أفرغت فيه طائفة مختارة من شعر هذه الأمم، وتريد عليها فضل النسبة العربية فيما استوحاه الشاعر العالم السياسي من سليقته وفطنته وخياله، وفَّقه الله للمزيد من هذه السفارة العليا، وأفاد بجهده المشكور أتم ما يفيد.

مقدمة

بسم الله الرحمن الرحيم

تفضل الكاتب الألمعي الكبير، والشاعر المبدع القدير الأستاذ عباس محمود العقاد فكتب مشكورًا مقدمة لهذه المثاني.

فأقصر أنا كلمتي هذه على تاريخ نظم هذه الأبيات وعلى تسميتها.

١

هذه أبيات نظمتها مثاني في أوقات شتى. خطرت لي في الحضر والسفر، حتى في الطائرة، خطرت حين الفراغ وحين العمل، بالليل والنهار.

نظمت الأولى منها فبدا لي أن أنظم أمثالها، وتوالت الخطرات وتوالى النظم. وكتبت ما نظمت فور نظمه أحيانًا. وكثيرًا ما نظمت في الطريق فحفظت ما نظمت حتى تيسرت كتابته.

ثم حرصت على أن أسجل وقت النظم ومكانه، ولكني لم أثبتهما مع الأبيات لئلا أُعَنِّي القارئ بهما، إلا أن يكونا متصلين بالمعنى، يتضح بهما، أو يكمل معهما، أو كان في إثباتهما فائدة أخرى.

نظمت الخطرة الأولى على شاطئ بحر العرب من مدينة كراچي يوم الخميس التاسع والعشرين من ذي القعدة سنة إحدى وسبعين وثلاثمائة وألف من الهجرة (٢١ آب سنة ١٩٥٢م).

ونظمت آخرها وأنا أكتب هذه المقدمة، يوم الأحد ثامن عشر صفر ١٣٧٤هـ (١٧ تشرين الأول سنة ١٩٥٤).

وإن توالي النظم من بعدُ على هذا النسق أُلحقْ ما أنظمه بأخواتها في الطبعة الثانية.

ونشرتها كما نظمتها على ترتيب التاريخ ولم أجمع المتشابهات منها بالتقديم والتأخير، فرُبَّ بيتين في معنى يَبْعُدَانِ مَكَانًا عن أبيات أخرى في معناهما، ويجاوران أبياتًا لها معانٍ بعيدة عنهما.

وكتبت عنوانًا لبعض المثاني توضيحًا لفكرة اشتملت عليها، أو جمعًا للمثاني التي تتوالى في معنى واحد أو التي يجمعها مكان واحد أو زمان من الأمكنة والأزمنة التي رأيت أن أثبتها مع الأبيات، جمعت هذه تحت عنوان واحد وبَيَّنْتُ تتابُعَهَا بكتابة حرف ت بجانب أرقامها.

وأدع للقارئ تبيُّن ما في هذه المثاني من دعوة إلى الجلال والجمال، والخير والحق، والأمل المُشرق، والجد الدائب، والاستكبار على الدنايا، ولقاء الحوادث بعُدَّتِهَا من الإيمان والصبر، وما يتصل بهذه من معاني الحياة الكريمة.

٢

وسميتها المثاني

وكان بدا لي أن أسمي هذه الأبيات رباعيات، كاصطلاح أدباء الفرس في الأبيات الثنائية، وكما جرى العرف بين أدباء العرب في هذا العصر، ولكني عدلت عن هذه التسمية بعد التأمل.

وإليك البيان:

(أ) الرباعي في الفارسية

عرف وزن الرباعي منذ عرف الشعر الفارسي الحديث، منذ أواخر القرن الثالث الهجري. ويقول شمس الدين محمد بن قيس الرازي مؤلف كتاب المعجم في معايير أشعار العجم — وهو أوسع وأقدم ما كتب في هذا الموضوع بالفارسية:[١]

> إن أحد متقدمي شعراء العجم — وأحسبه الرودكي[٢] — أخرج من بحر الهزج وزنًا مقبولًا تميل إليه الطباع السليمة فسمي الرباعي.

ثم يروي المؤلف قصة اختراع هذا الضرب من الوزن فيقول إن الشاعر الذي اخترعه كان يجول في متنزهات مدينة غزنة في يوم عيد فرأى جمعًا من الصبيان يلعبون بالجوز. وبينهم صبي مليح فصيح اتجهت إليه عيون النظارة، فرمى الصبي جوزة فلم تصب الحفرة وجاوزتها ثم رجعت تتدحرج حتى وقعت فيها فصاح الصبي:

غلتان غلتان همى رود تابن كو

(تتدحرج تتدحرج ذاهبة إلى قعر الحفرة).

فأعجب الشاعر بهذه الجملة في هذا الصوت، وأدرك فيها وزنًا جميلًا فقاسه على أوزان العروض حتى أخرجه من بحر الهزج، وضم إليه شطرًا على قافيته وبيتًا على وزنه، فصارت الشطرات الأولى والثانية والرابعة متفقة في القافية، والثالثة مطلقة.

ثم يصف المؤلف شيوع هذا الوزن وفروعه، وافتتان الناس به إلى أن يقول:

وجرت العادة أن يسمى ما نظم بالعربية من هذا الوزن «قولًا» وما نظم بالفارسية غزلًا، وأهل العلم يسمون ملحونات[٣] هذا الوزن «ترانه» وغير الملحون «دوبيت» وسماه المستعربة «الرباعي». ا.هـ.

وظاهر أن هذا الضرب سمي رباعيًّا لأنه مؤلَّف من أربعة أشطر كما سمي «دوبيت» لأنه مؤلف من بيتين، ولكن مؤلف المعجم يقول إن المستعرِبَة سَمَّوْهُ رباعيًّا لأنه مؤلَّف من أربعة أبيات بحساب العروض العربي؛ لأن الهزج في العربية لا يزيد على مفاعيلن أربع مرات، وفي الفارسية كل شطر فيه أربع تفعيلات، فساوى الشطر في الفارسية البيت في العربية.

ويوافق هذا ما في كتاب معيار الأشعار، وهو كتاب فارسي ألف سنة ٦٤٩هـ ولا يعرف مؤلفه، نقل عن هذا الكتاب الشيخ سيد سليمان الندوي رحمه الله في كتابه عن الخيام:

> وقال القدماء على هذا (وزن الرباعي) شعرًا كثيرًا، وقَفَّوْا كل مصراع وعَدُّوهُ بيتًا مثل الرجز المشطور ... ولهذا حسب القدماء الرباعي أربعة أبيات وسموه «جهار بيت» وسموه بالعربية «الرباعي» والتزموا التقفية في الأربعة.
>
> وأما المتأخرون فقد تركوا مربعات هذه الأوزان، وعدوا كل بيت منها مصراعًا وسموا الرباعي «دوبيت» ولم يشترطوا التقفية (يعني في كل شطر) ا.هـ.

ولعل مما يؤيد هذا أن الرباعيات العربية التي رواها الباخرزي مقفاة الأشطر كلها، ولكنَّا لا نسلِّم بقول صاحب معيار الأشعار إن القدماء التزموا تقفية كل مصراع؛ فقد أُثِرَتْ رباعيات عن الرودكي والعنصري وغيرهما من المتقدمين لم يُقَفَّ فيها الشطر الثالث.

ويمكن أن يقال إجمالًا: قد اتفق الشعراء المتقدمون والمتأخرون على وزن الرباعي، ومال المتقدمون إلى تقفية الشطور كلها ولم يلتزموه، ومال المتأخرون إلى إطلاق الشطر الثالث ولم يلتزموه أيضًا، واتفقوا على تسميته بالرباعي واختلفوا في تعليل التسمية أهي نسبة إلى أربعة أشطار أم أربعة أبيات.

وقد أخرج شعراء الفرس أربعة وعشرين ضربًا في وزن الرباعي نصفها من الهزج الأخرب، وهو يبتدئ بمفعول، ونصفها من الهزج الأخرم ويبتدئ بمفعولن.

وهي في ظاهرها بعيدة من الهزج بما لحقها من الزحاف والعلة، ولكنها في اصطلاح العروضيين مأخوذة منه متصلة به.

(ب) الرباعي في العربية

يقول مؤلف المعجم:

> ولم يكن الزحاف المستعمل في هذا الوزن معروفًا عند العرب فلم ينظم فيه القدماء شعرًا عربيًّا، ولكن المطبوعين من المحدثين أقبلوا عليه اليوم كل الإقبال، وشاعت الرباعيات العربية في كل بلاد العرب.

ألف شمس الدين محمد بن قيس كتابه في أوائل القرن السابع الهجري. وعرفنا أن الرباعيات العربية كانت شائعة في عصره في كل البلاد العربية.

وهذا كلام مؤلَّف آخر أقدم منه هو علي بن الحسن الباخرزي مؤلف «دُمية القصر» المتوفَّى سنة سبع وستين وأربعمائة من الهجرة، يقول في ترجمة أحمد بن الحسين الخطيب من شعراء عصره وهو من أصحاب اللسانين (العربي والفارسي):

ولم يبلغني من شعره إلا قطع نظمها على وزن الرباعي مثل قوله:

قد هاض فراقه فقاري والله   واستهلك هجره قراري والله
أُذْرِي الدَّمَ ليلي ونهاري والله   لم يُغْنِ من الهوى حذاري والله

وقوله:

أبلى جسدي هوى ظلوم جاني   قد هجَّن قدُّه قضيب البان
يا من أضحى وما له من ثاني   ما ضرك لو فككت هذا العاني

ولم أكن سمعت هذه الطريقة حتى أنشدني والدي لأبي العبار الباخرزي رباعيات على هذا النمط منها قوله:

قد صيَّرني الهوى أسير الذلَّة   واستنهكني وما بجسمي علة
واستأصل هجره بصبري كله   لا حول ولا قوة إلا بالله

إلى أخوات لها من مقاله.
ثم نسج والدي على منواله فنظم منها أعدادًا كثيرة على وزنه فمنها قوله:

أعطيتك يا بدرُ عِنان القلب   لا زلت أرى هواك شان القلب
لو لم يكن الصدر صوان القلب   أنزلتك واللهِ مكان القلب

وقلت أنا:

قد مَلَّ هواي فافترشت المَلَّهْ   خلٌّ بوصاله يسد الخلَّهْ
أدمى كبدي بسيف هجر سلَّهْ   ما أجوره عليَّ سبحان الله

انتهى كلام الباخرزي.

ويؤخذ منه:

(١) أن الرباعيات لم تَشِعْ في العربية حتى زمن الباخرزي فلم يسمع بها حتى أنشده والده بعضها.

(٢) وأن الرباعيات العربية على وزن الفارسية.

(٣) وأن التقفية في رباعيات العرب تنتظم الشطور الأربعة مع أن الفارسية تلتزم فيها التقفية بين أشطر ثلاثة، والشطر الباقي وهو الثالث منها، يجوز إطلاقه وتقفيته.

(٤) وأن ناظمي الرباعيات العربية استعملوا القافية المردوفة أحيانًا، وهي التي تكرر فيها كلمة بعينها، وتراعي التقفية قبلها.

كما في الرباعية:

قد هاض فراقه فقاري والله

... إلخ.

والرباعية:

أعطيتك يا بدر عنان القلب

... إلخ.

وهذا النوع من التقفية شائع في الشعر الفارسي أوزانه كلها، ويظهر أن الرباعيات العربية كانت قليلة وحديثة عهد بالنشوء أيام الباخرزي ثم شاعت من بعدُ. حتى عمت البلاد العربية كما قال صاحب المعجم.

يتبين مما قدمت أن الرباعيات في الفارسية والعربية لها وزن يخصها، ونظام في القافية يميِّزها؛ فليس كل ما نظم بيتين بيتين يعد رباعيًّا.

لهذا رأيت ألا أسمي أبياتي هذه رباعيات، إبقاء على الاصطلاح المتبع في الأدبين العربي والفارسي، وسميتها المثاني إذ كانت الأبيات فيها مثنى مثنى.

وقد جاء في القرآن الكريم: ﴿اللهُ نَزَّلَ أَحْسَنَ الْحَدِيثِ كِتَابًا مُّتَشَابِهًا مَّثَانِيَ تَقْشَعِرُّ مِنْهُ جُلُودُ الَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ ثُمَّ تَلِينُ جُلُودُهُمْ وَقُلُوبُهُمْ إِلَىٰ ذِكْرِ اللهِ﴾.

وحسبي فخرًا، وحسب هذه الأبيات صيتًا، أن تسمى سمةً مأخوذة من القرآن.

وإني لشاكر لدار المعارف عنايتها بإخراج هذه المثاني في صورة من الجمال والإتقان اللذين عُرِفَا في كل أعمالها.

والحمد لله الملهم. وهو حسبي وكفى. ا.هـ

كراچي الأحد ثامن عشر صفر سنة ١٣٧٤هـ

١٧ تشرين الأول ١٩٥٤م

عبد الوهاب عزام

هوامش

(١) كتب في أوائل القرن السابع الهجري، وللمؤلف كتاب آخر اسمه المعرب في معايير أشعار العرب لا يوجد اليوم.

(٢) أبو جعفر الرودكي السمرقندي أقدم شعراء الفرس الكبار.

(٣) ما لحن للغناء.

المثاني

١

أيها البحر[١]

زاخـرٌ ثـائـرٌ نـهـارًا ولـيـلًا　　　أيها البحر ما هياج البحور؟
هل خلا من هديرك الدهر يومًا　　　أو سيخلو على مرور الدهور؟

٢

ترفع الشمس عن جمالك سترًا　　　ويصون الجمال ستر الظلام[٢]
يقرأ الناس من جمالك سطرًا　　　من حروف الإصباح والإظلام

٣

تختفي كالنجم في الدَّجْن اختفى　　　ثم تبدو ومض برق للفؤاد[٣]
أنت في غيب وومض ظاهرٌ　　　ذان للعين بياض وسواد

٤

إنما التوحيد إيجاب وسلب — فيهما للنفس عزمٌ ومضاء
لا وإلا قـــوة قـــاهـــرة — فهما في القلب قطبا الكهرباء[٤]

٥

يشغل العين والجوارح سيري — ولظى النار في الفؤاد كمين
وتثور الذكرى كقدحة زند — فإذا القلب لاعج وشجون

٦

ينبع الدمع في شئوني حينًا — وله في الفؤاد نبع جليٌّ
وأراه يجيش في العين حينًا — وله في الغيوب نبع خفي[٥]

٧

إن يكن في الكلام صدق وكِذب — ولدى القلب سره المكنون
فعلى الصدق في العيون دليل — وعلى الوجه شاهد لا يمين[٦]

٨

أمنح الناس مسمعي وحديثي   وألاقــي كــلامــهــم بــكــلام
وسوى ذاك في الفؤاد حديث   مـن وراء الأسـمـاع والأفـهـام

٩

ينبع الشعر والشواغل شتى   كانبجاس المياه بين الرمال
تبصر الماء صافيًا لست تدري   كم فيافٍ سرى بها وجبال[٧]

١٠

الوجدان

عـقـبـاتٌ تـفـل كـل شـبـاة   وزمــاعٌ يــذلــل الــعــقــبــات
نحن لولا الوجدان يَهدي ويحدو   قـهـرتـنـا الأهـوالُ فـي الـطُّرُقـات

١١ ت

كلما أظلم الطريق وأعيا   وتناجت بيأسها الركبانُ
أبصر الركب للمنازل نارًا   وهداهم إلى الديار أذان

١٢

في نور القمر

أحسب البدر ساطعًا نبع ماء فأرجِّي لديه تطهير ذنبي
وأراه من الأشعة فيضًا أتمنى لديه تنوير قلبي

١٣

الإباء

قد عبرنا حدائق الحسن في الأر ض ترينا الثمار كلَّ شهيٍّ
وكبُرنا عن أن نُسِفَّ إليها فمضينا كطائر وحشيٍّ

١٤

بين الحسن والقلب

يطبع الحسن شكله في فؤادي ولقلبي على الجمال انطباع
بين نفسي والحسن أخذٌ ورد مثل ما غازل المرايا شعاع[٨]

١٥

قال لي صاحب: أراك غريبًا بين هذا الأنام دون خليل
قلت: كلا بل الأنام غريبٌ أنا في عالمي وهذي سبيلي[٩]

١٦

قد تهاوى إلى الحضيض أناس   وخزُوا حين حوسبوا بالظواهر
ليت شعري فما يكون أناس؟   ما يكونون يوم تبلى السرائر؟[١٠]

١٧

قلت للصقر وهو في الجو عالٍ:   اهبط الأرض فالهواء جديب
قال لي الصقر: في جناحي وعزمي   وعنان السماء مرعى خصيب

١٨

في بحار الأيام موج وريح   واصطخاب الأمواج، والضوضاء
تحت هذا الضجيج في القاع تثوي   لأولي العزم درة بيضاء

١٩

قلت لليل: كم بصدرك سر   أَنْبِئَنِّي ما أروع الأسرار؟
قال: ما ضاء في ظلامي سر   كدموع المنيب في الأسحار

٢٠

أيـها اللـيل أَسْـبِلَـنْ كل سـتـر   عَلَّنِي في حماك أخلو بنفسـي
فرَّقتني ضوضاء صوت وضوء   فاجمعن بالظلام والصمت حسي

٢١

أنا وحدي، قليل ماء وطين   تـائـهٌ فـي زمـانـه حـيـران
وأراني بك السموات والأر   ض وكونًا يتيه فيه الزمان

٢٢

صاح ما اللحن شاجيًا ما الغناء؟   ما الوغى ما الضجيج ما الضوضاء؟
اتــســاق ووحــدة وائــتــلاف   أو نــفــار وفــرقــة وعــداء

٢٣

إنما النفس وحدها نزعاتٌ   شارداتٌ تضل فيها الحدود
وهي بالحق شرعة ونظام   وهـي بـالـلـه عـالـم وخـلـود

٢٤

على ساحل بحر العرب في الليل

ذاك بحر تضيء فيه سفين   تحت بحر من الكواكب حالي
نحن بين البحرين أرباب عزم   نبتغي الشهب منهما واللآلي

٢٥ ت

في فؤادي بحران، مِلْحٌ وعذب   وبه صرصر وريح رُخاء
فهو مُرٌّ على البغاة عصوف   وهو عذب لصاحبي وصفاء

٢٦

يرتقي الفكر في العوالم حتى   يبلغ العالم الفسيح الرهيبا
ثم يعيا بما يراه فيهوي   يبتغي الأرض والمراد القريبا

٢٧

البحر في نور القمر

ذلك الماء والأشعة طهر   وصفاء يخال نورًا وبحرًا
إيه يا نفس! فاطهري وأضيئي   واشربنْ يا فؤاد صفوًا وطهرا

٢٨

الوجدان

قالت النفس: لا تسل لست أدري في خِضَمِّ الحياة ما مقصودي
غيـر أنـي أرى شـراعًا وريحًـا ومـنـارًا يـلـوح لـي مـن بـعـيـد

٢٩

لا يبالي الأخيار في هذه الأر ض ببـاغٍ ومـفـترٍ وحـسـود
لو يبالون لم يشقوا طريقًا بين هذي الآفات شطر الخلود

٣٠

كم سمعنا وكم رأينا عجيبًا: في أناس طبيعة الحرباء
فـهـم يـبـدلـون لـونًـا بـلـون فـي غُدُوٍّ وضـحـوة ومسـاء

٣١

لا تُـرَجِّ الـثـواب عـنـد عـبـاد خاب من يرتجي ثواب العباد
كم يـلاقـون بـالإسـاءة إحـسـا نًا وبالكفر ما لقوا من أيادي

٣٢

لا يعادي الإنسان كلبًا عقورًا لا ولا يستحي إذا فر منه
كم عقورٍ من الأناسي فاحذر ه ولا تَخْزَ حين تجبن عنه

٣٣

في نور القمر بعد هدأة الليل

قالت: النفس كم تؤرق عينًا قد حماك المنام في الليل نور
قلت: لا تعجلي لنوم ظلام إن هذا الجمال نوم منير

٣٤ ت

قطر الدمع في شعاع من النو ر وجاش الحنين بين الضلوع
قلت: هذي الدموع ذوب ضياء أم ترى النور من شعاع دموعي؟

٣٥ ت

في فضاء الضياء تسبح عيني فيَجِدُّ اليراع في التسطير
من عَنان السماء وحيٌ يُراعى ومدادي من الشعاع المنير

٣٦

على ذكر المطالبة بدرجات مالية

علماء الزمان في درجات[١١]   لا من العلم بل من الأموال
أترى هذه الوظائف أثما   نًا بها قُوِّمَتْ نفوس الرجال؟

٣٧

كلمات بقين لي من صديق   من دموع تجمعت وشجون
لهف نفسي! يبقى الحنين على الطِّر   س وتفنى الصدور ذات الحنين!

٣٨

قد نثرت البيان نثر اللآلي   ونظمت البيان نظمَ فريدِ
فرَنَت أعينٌ وغضَّت عيون   ما احتيالي لجاهل وحسود؟

٣٩

قيل لي: كم ترى عَمِرْتَ سنينًا   قلت: عُمِّرْتُ أعصرًا لا تعد
أنا منذ الآزال في الدهر ماضٍ   وإلى الآباد سيرتي، لا أُحَدُّ

٤٠

إنما الخير ألفة واتصال بينما الشر نفرة وشقاق
في جذاب وفي اتصال ونظم تستمر النفوس والآفاق[١٢]

٤١

في جهاد الحياة ربح وخسر وصروف ما بين سعد ونحس
والسعيد السعيد من قال حقًّا: «صنت نفسي عما يدنس نفسي»[١٣]

٤٢

على ساحل بحر العرب

أيها البحر كم محوتَ خطوطًا وشكولًا ما بين مدٍّ وجزرِ
أكذاك الزمان مَدٌّ وجزر غاسل من كتابنا كلَّ سطر؟

٤٣ ت

هل لهذا الضجيج يومًا سكونُ أو بهذا النشيد تَفنَى لحون
كم تخطُّ الرياح فيك سطورًا ألهذا الكتاب خَتم يَحين؟



٤٤ ت

ما إخال الهياج في غير شيء ما إخال الضلوع منك خَلِيَّهْ
إن هذا هيام وجد فقل لي أي وجد حباك رب البَرِيَّهْ

٤٥ ت

قلت: ماذا الهيام في شهوات؟ قيل: هذي حياتنا في الصميم

قـلـت: زيـدوا حـيـاة عـقـل وروح — إن صدقتم — إلى حياة الجسوم[١٤]

٤٦

قبيلتان

بجريح الذئاب تسطو الذئاب وضعيفَ الكلاب تغزو الكلاب[١٥]
فـإذا حـارب الـضـعـيف قـوي فلـه فـي الـقـبـيلـتـين انـتـسـاب

٤٧

لا فراغ في النفس

املأن بـالـتوحيد قلبًا وإلا مـلأتــه مـعــابـد الأوثــان
واشغل النفس بالمعالي وإلا شغلتها وساوس الشيطان

٤٨

لذة الإباء

قيل: يا غِرُّ مَوْرِدٌ ومرَادٌ لا تُحَلِّئْكَ هذه الخُيَلَاء[١٦]
قلت: إني أرى اللذاذة لكن خير ما لذه الكريم الإباء

٤٩

شريعة القلوب

قيل هذا محلل لا تدعه / قلت: هذا الحلال عندي أثام
هو في شرعة الفقيه حلال / وهو في شرعة القلوب حرام

٥٠

صلة اللحن بالرموز أراها / بين شعري وبين ورد الربيع
لحن هذه الورود ترجيع شعري / وهي منه رموز لحين بديع[١٧]

٥١

لي حينًا مع الجليس حديثٌ / وإذا ما خلوت حدثت نفسي
فحديث الجليس ظن وحدس / وحديث النفوس تصحيح حدسي

٥٢

دوحة تسكنها الطير في مدينة

دوحة في الديار أسمع منها / كل ليل تشاكِي الأطيار:
نغَّص الفطرة الأناس علينا / بين هذه الضوضاء والأنوار

٥٣

قال نسر محلق لأخيه:	أي سر في خلقة الإنسان
ملأ البر والبحار فسادًا	ثم وافى مدمِّرًا في العَنان

٥٤

بُعد الزمان والمكان

قد تناءى عن الديار مكاني	ثم زاد البعاد مر الزمان
غير أن الفؤاد فيها مقيم	ما نأى بالزمان أو بالمكان

٥٥

كل يوم يجتاب ثوبًا جديدًا	ما له عن تحول من مناص
مخلص في الكلام والفعل لكن	كل يوم مبدل الإخلاص!

٥٦

على البحر بعد الغروب

أنا وحدي ضعيف حول وطول	عاجز معدم كليل جبان
وأنا منك في غنى واقتدار	وشجاع تهابه الشجعان

٥٧

قلت: للنجم كم عددت من العمـ ـر وكم سرت في حساب الزمان
قال لي النجم سائرًا في ابتسام: أنـا فـوق الـزمـان والـحـسـبـان

٥٨

رسائل أصدقاء

زهرات قُطفنَ منذ سنينا ناضرات على الزمان بقينا
لم تزدها الأيام إلا ازدهارًا وغصون قطفن منها بلينا[١٨]

٥٩ ت

ذلك الخط ناضر كالزهور لم يغير شذاه مر الدهور
يملأ الأذن والفؤاد حديثًا أين أين الصديق رب السطور

٦٠

هلال صفر سنة ١٣٧٣هـ

يا هلالًا على الأنام مطلًّا كم جلتك الشهور والأعوام
غرة في جبين أدهم طرف ما له الدهر وقفة أو جمام

٦١

يفضح الناس حين يكشف ستر عن عيوب وخلفه أستار
كيف لو تكشف القلوب عن الخبْءِ وتبلى الغيوب والأسرار؟

٦٢

أدَّعي الطهر في فعالي وقولي وأباهي بذاك في كل نادي
لهف نفسي! من لي بتطهير نفس دنست بالظنون والأحقاد

٦٣

قلت: للنفس ساء ظني بالنا س وشاهت وجوههم والسمات
قالت: اصقل مرآة نفسك وانظر رُبَّ وجهٍ تشوِّه المرآةُ

٦٤

الوجدان

كلما حارت الطريق سمعنا صوت هادٍ مُثَوِّبٍ في المَوامِي
كلما أطبق الظلام رأينا خفقة البرق في حنايا الظلام

٦٥ ت

راكب البحر في الظلام هدته إبر في السفين للقطب تهدى
أيها الخابط الحياة تذكَّرْ إبرة في الضلوع تهدي لقصد[١٩]

٦٦

الغنى والفقر

كم غنيٍّ إلى العباد فقير يجمع المال ذلة في فؤادهْ
وفقير عن العباد غني يخضع المال صاغرًا لمرادهْ

٦٧

أسرع الدهر في التقلب حتى تعبت في حسابه الأفكار
وتدور الأيام بالناس حتى يدرك الناسَ في مداها الدُّوارُ

٦٨

ينكر الفضل حاسد وجهول وغوي إلى هواه يميل
أكثر الناس يُخذل الحق فيهم ناصر الحق في الأنام قليل

٦٩

زهرات[٢٠]

ما الذي أحكم التشاكل فيها   وحباها بدائع التلوين؟
ما الذي أفرغ الجمال عليها   وجلاها عرائسًا في العيون

٧٠ ت

زهرات بسمن للصبح سكرى   بعدما حاطها الظلام بستر
أي عين رعتك في جنح ليل؟   أي كف جلتك في نور فجر

٧١ ت

زهرات من لَون ليل وصبحٍ   ونجومٍ ومغربٍ وشروقِ
أيُّ عين تؤلِّف الحسنَ فيها؟   أي كف تهيم بالتزويق؟

٧٢ ت

زهرات تَفَتَّحَتْ كعيون   حدَّقت أو تخالُها أُذْنَ سامِعْ
أي حسن هذي العيون رأته؟   أيُّ شِعْرٍ وَعَتْهُ هذي المسامع؟

٧٣ ت

يا زهورًا منيرة باسماتِ   سامعاتٍ مبينةً ناظراتِ
كل معنى وكل لون لديها   من معانٍ تألَّفت أم شِيَات؟[٢١]

٧٤

منع اليأس والتبلد علمي   أن بعد الظلام صبحًا منيرَا
ومع العسر يسره، ومع الحز   ن سرورًا وللزمان كرورَا

٧٥

التصوف في الأسواق

ليس شيئًا تصوُّف من تقيٍّ   فر من غمرة الحياة بدين
إنما يعرف التصوف في السو   ق بمال ومطمع وفتون

٧٦

الموسيقى

تعلن الصوت من ضمير الغيوب   وتلاقي الحجى بلغز عجيب
أدوات بدون صمًّا وبكمًا   كيف وافى بهن صوت الحبيب[٢٢]

٧٧ ت

ليت شعري رنين أوتار عود أم أنين بصدره المحزون؟
ليت شعري بصدر عود أنين أم بصدر حنا عليه حنون[٢٣]

٧٨

شعري

من حفيف النسيم والأشجار وتناجي الغصون والأطيار
وخفوق من القلوب خفي صاغ قلبي بدائع الأشعار

٧٩ ت

من زهور الرياض أنسج شعري ومن الشعر أشعل الأزهارا[٢٤]
إن زهر الرياض ألوان نبت بعثتها أنفاس شعري شرارا

٨٠

أي سر وعته نفسي فهامت وطوته بين الضلوع غيوب
ملء سمعي وملء قلبي حديث وعن الفكر سره محجوب

٨١

توكل الطير

قلت للطائر المبكر مهلًا مسرح الطائر حاطه ألف شر
قال لكن غدوت في كل يوم ثم قد رحت لم أُمَسَّ بضُرٍّ[٢٥]

٨٢ ت

قلت للطير لا أرى لك رزقًا في خفوق ما بين غرب وشرق
قالت الطير: يا جهول غدونا كل يوم فما عيينا برزق

٨٣

أبكت تلكم الحمامة أم غنت

قلت للطائر المرجع: نوح أم غناء؟ لقد تحير فكري
قال: أنصت ما بين ماء وزهر لغنائي، ودع كلام المعري[٢٦]

٨٤

قلت للبلبل المغرد مهلًا أي وزن تخِذته للقريض؟
قال لا تلتمس لشدوي قيودًا إن شعري محرر من عروض



٨٥

الشعر

قال لي صاحب: سكت طويلًا	ثـم أبـدعـت هـذه الـزهـرات
قلت: بالأمس كان شعري سكوتًا	ثم فاض السكوت في كلمات[٢٧]

٨٦

أعطى كل شيء خلقه ثم هدى

ما الذي حمَّل الطيور عناء   لتُقيت الفراخ في الأوكار؟
تجمع القوت ما بين خوف وكدح   ثم تحشوه في بطون الصغار

٨٧ ت

ما الذي علم السوابح في البحـ   ـر سفارًا إلى قَصِيِّ البحار
تضع السرء في مهاء دفيء   وتُغِذُّ الإياب شطر الديار[٢٨]

٨٨

في جوف الليل

فاض وحي من الدموع بعيني   هو سر حواه صدر الظلام
من وراء الزمان نبع خفي   يرفد العين بالدموع الهوامي

٨٩ ت

قطرات من الدموع أضاءت   في خيالي وفي ضمير الظلام
شرر الذكريات أورته زند   من وراء الخطوب والأيام

٩٠

أنا سر حواه صدر الليالي   وبصدري أسرارها وببالي
ووراء الأسرار سر خفي   كل عنه تفكري وخيالي

٩١

حجرة ملؤها الظلام حوتني   وحوتها أشعة القمراء
رب نفس تلفها ظلمات   وهي في عالم كثير الضياء

٩٢

أجد القلب كالفراش محبًّا   كل نار، ولا يهاب لهيبَا
ثم ألفيه طائرًا في الفيافي   يهجر الأهل والديار غريبَا

٩٣

كم أطافت بحُرٍّ وجهي عيون   ثم عادت وسره مكنون
زجروا طائر الجوارح لكن   ما هدتهم إلى الفؤاد ظنون

٩٤

الشعر

قد تركت القريض حينًا ولكن كان في روضه لقلبي هيام
أيسر الشعر ما وعاه بيان رب شعر يرتاع منه الكلام

٩٥

الشوك والورد

قلت للشوك، وهو يدمي بناني آفة أنت في الجمال البديع
قال لي الشوك ضاحكًا: لست تدري أنا كالورد، من جمال الربيع

٩٦ ت

أي كف في الروض تحسن صنعًا وتُجَلِّي فنونها للعيان
ليس حظ الأشواك والعشب منها دون حظ الزهور والأغصان

٩٧

من أحل الصلاة للظُّلَّام

اسأل الظالم المُصَلِّي من ذا قد أحل الصلاة للظُّلَّامِ!
أول الطهر للصلاة اغتسال يرحَض النفس من حقوق الأنام

٩٨ ت

طائف البيت محرمًا في خشوع	خالعًا للطواف كل مخيط!
طُهِّرَنْ للطواف قلبًا وكفًّا	ولسانًا من كل إثم محيط[٢٩]

٩٩ ت

صائم الدهر صم وأفطر ولكن	أدم الصوم عن حقوق العباد
هل يصح الصيام والبطن ماض	في التهام القلوب والأكباد[٣٠]

١٠٠

نحن ندري لذاذةَ العيش طرًّا	ونحب الجمال ملءَ القلوب
غير أنَّا نعاف كلَّ قبيح	ونريد الجمال غير مشوب

١٠١

على الشاطئ حين الغروب

قلت للشمس: كم طلعت على الدهـ	ـر وكم غبت في حجاب الغروب؟
قالت الشمس: ما طلعتُ وما غبـ	ـتُ فأنتم لمطلَع ومغيب[٣١]

١٠٢

اسْـعَ وَأْمُـلْ مـذلـلًا كـل صـعـب   واهجرن قولة الحكيم البصير:[٣٢]
«ما الذي نستفيد في هذه الدنــ   ــيا بطول الرواح والتبكير؟»

١٠٣

أيها العاكف المسبح! سبح   فـي عـراك الـحـيـاة بـالآفـاق
مـثـلـمـا كـبـر الأوائـل مـنـا   ووميض السيوف في الأعناق

١٠٤

يأخذ الناس بالظنون إذا ما   وافقت منهم هوى في الصدور
ويـمـارون فـي الـحـقـائـق إما   كـذبـت فـيـهـم أمـانـي زور

١٠٥

فراش وزهر[٣٣]

صاح! هذا الفراش زهر يطير   أم فراش يقر هذي الطيور
عل هذا الفراش أحلام زهر   أو أمانـي أرسلتها الصدور

١٠٦ ت

صنع الماء للزهور مرايا وعلى الزهر للفراش زهور
أي هذي الفراش بل أيها الزهـ ـر؟ وأي خيالها المنظور؟

١٠٧ ت

أيها الزهرة الجميلة ماذا قد أَسَرَّتْ فراشة في الخطاب؟
ولماذا تطير عنك لأخرى ثم تهفو إليك رجع الجواب؟

١٠٨ ت

أزهور تطير في الأضواء أم فراش يريد ورد الماء
حارت العين في فراش وزهر بين ماء وخضرة وضياء

١٠٩ ت

ما رأيت الفراش والزهر إلا صغت منها بدائع الأشعار
صور في الحياة راقت ودقت فهي توحي دقائق الأفكار

١١٠

في حفل للمولد النبوي[٣٤]

قد سمعنا من القصيد ثناء   وعلى الدف والطبول غناء
كل هذا على سناك غبار   حجبوا بالضجيج ذاك الضياء

١١١ ت

غلب الوجد مادحيك فصاحوا   وتعالى زفيرهم والأنين
ونظرنا إلى سناك حيارى   يعلن الصمت وجدنا والسكون

١١٢

ليس بالصعب أن تكبر والأصـ   ـنام صرعى وللأذان دوي
إنما الصعب أن تكبر والأصـ   ـنام ترعى وأمرها مأتي

١١٣

صاح ما الحر من يثور على الظلـ   ـم وقد ثارت لحقها الأقوام
إنما الحر من يسير إلى الظلـ   ـم فيُصميه والأنام نيام

١١٤

الحياة

ناب ليث محدد للصيال ولِعَدْوٍ تُعَدُّ رجل الغزال
في صيال وفي فرار حياة لظباء الفلاة والرئبال

١١٥

قد تأملت في وجوه حسان وقباح، في الوحش والإنسان
صور الوحش والأنيس حروف حدثتني بما حوت من معان

١١٦

زهر مصنوع[٣٥]

زهرات يرقن لونًا وشكلًا تملأ العين نضرة من بعيد
أخذتها يداي لونًا مواتًا إن حبل الخداع غير مديد

١١٧ ت

إن في الناس أوجهًا لامعات تملأ العين زهرة ورواء
ويراها البصير صورة زهر لم تهبها الحياة عطرًا وماء

١١٨ ت

صور الزهر ما لها من ذبول هي أبقى من ناضرات الزهور؟
ساعة في الحياة خير وأبقى من ممات يدوم كر الدهور

١١٩

شر القبور النسيان[٣٦]

عن ضريحين قد سألت كثيرًا ما درى من ثواهما الجيران
قلت: كل إلى ممات ولكن شر قبر نحلُّه النسيان

١٢٠ ت

رب قبر مشيد ليس يُدرى أي ميت يطول فيه سباتهْ
وضريح من الخلود لثاوٍ ليس يدري الزمان أين رفاتهْ

١٢١

مُلك السماء والأرض

قد سمونا على الدنايا جميعًا وعرفنا الحياة طهرًا وبرًّا
قيل: ماذا أفاد طهر وبر؟ قلت: ملك السماء والأرض طرًّا

١٢٢

إيه يا نفس لا تطيلي كلامًا واسألي الله رحمة للعباد
ذا زمان من الفتون وفيه نصرة الحق مثل خرط القتاد

١٢٣

إن دنياك من نهار وليل وهي في ذاك صفحة ومداد
فاملأنها الجميل والخير واكتب أسطرًا يستضيء منها العباد[٣٧]

١٢٤

إن في الناس نقطة في محيط أو هم مركز عليه المدار
فاثبتن والزمان بالناس ماض والزم القطب لا يصبك الدوار

١٢٥

دعاء

بصرني إذا حواني ضياء وأنر لي إذا حواني ظلام
واجعل الحق قبلتي وإمامي ما لقلبي إلى سواه هيام

١٢٦

في سفينة إلى البحرين

في خضم الحياة نزجي سفينًا ريحنا العزم والمنار الرجاء
تارة ظلمة وموج وحينًا لجة سمحة وريح رُخاء

١٢٧ ت

مطلع الشمس قد شهدت من البحـ ـر وفي البحر كان منها الغروب
أي بحر يا نفس أشرقت منه؟ أي بحر يا نفس فيه المغيب؟

١٢٨ ت

ظلمات ولجة وزماع ولقصد السبيل تجري السفين
هكذا نحن في الحياة، هدانا خافق ملهم وعقل مبين[٣٨]

١٢٩

من حافظ الشيرازي

لا تقل لي دع الغناء وأقصر لا تؤمل في المرج صمت الطيور
أي صحو وفي هواك حديثي؟ أي صبر وفي اقتفاك مسيري؟[٣٩]

١٣٠ ت

إن هذي الحياة سير دوام ولنا فوق سيرها تسيار
ثم للفكر والرجاء مسير بعد هذين، عمرنا أسفار[٤٠]

١٣١ ت

قيل: فيم المسير؟ أين المصير؟ قلت: قصد الحياة هذا المسير
لا تَرُم غاية ولا ترج نُزْلًا وانظر النجم في الحِباك يسير

١٣٢ ت

أفرخ الطير في الدُّجُنَّة باتت تسأل الريح أمها وأباها[٤١]
ومضت ليلة ومر نهار أي لاه من الرماة رماها؟[٤٢]

١٣٣

حياة الإنسان بالأعمال

لا تلفت إلى قديمك إلا لتعد الأمور لاستقبال
لا تعد الأعمار عامًا وشهرًا فحياة الإنسان بالأعمال

١٣٤

قيل ذا مَنْصِبٌ لغير ثبات   فاتركَنْه لمنصِب ذي ثبات
قلت: ما ذي الحياة أثبتُ منه   إنـه ثـابـت بـقـدر الـحـيـاة

١٣٥

غرَّة الشمس في الصباح أراها   طُغَراء لصفحة في الزمان
فـامـلأنـهـا بـلاغـة وجـمـالًا   وتَجَنَّبْ بها خسيس المعاني

١٣٦

لذة الروح

إن لـلـروح لـذة فـاطـلـبـوهـا   هـي لا تـنـتـهي ولـيـسـت تُـحـدُّ
أشعروا النشء لذة الروح يصعد   بـهـم لـلـسـمـاء عـزم وجِـدُّ

١٣٧

هل الإنسان قرد

قال قرد لجده: قد سمعنا   أن مـنـا سـلالـة الإنـسـان
قال: كلا والله! ما كان منا   مهلك الحي مُخْرِبُ العمران

١٣٨

كم بهذا الأنام أحسنت ظنًّا فنهتني عواقب التجريب
ثم عاودت فيهم حسن ظني آملًا فيهم صلاح القلوب!

١٣٩

سوف تبدي الأيام ما خبأته وتَجَلَّى لمخطئ ومصيب
غير أن اللبيب يعرف منها ما أكنته من وراء الغيوب

١٤٠

إن في الناس أوجهًا صادقات هي مرآة ما تُكِنُّ القلوب
ومن الناس من يسر كتابًا وعليه العنوان وجه كذوب

١٤١

صورة الليث

ليس ليث الأقفاص ليثًا ولكن صورة الليث دون قلب وروح
إنما الليث وثبة وانطلاق وزئير على مهامِهَ فِيحِ

١٤٢

طائر في قفص

تحبس الصوت والجناح ظلومًا   قـائـلًا: ذاك طـائـر غـريـد
إنما الطائر الذي يملأ الجو   طـلـيـقًا جـنـاحـه والـنـشـيـد

١٤٣

يوزن الوعاء لما فيه

لا تقاس الأوقات باليوم والسا   ع ولـكـن بـصـالـح الأعـمـال[٤٣]
إنـمـا يـوزن الـوعـاء لـمـا فـيـه   فدع عنك وزنـه وهـو خـالـي

١٤٤

حساب الفراغ

شـر مـا يـقـتـل الـزمـان فـراغ   تتساوى به «ظروف الزمان»
إن عشرًا من السنين تساوي   في حساب الفراغ عشر ثواني

١٤٥

تسفل النفس بالصغائر حينًا   وتـضـيـق الـحـدود والآمـاد
فأحل القيود عنها فتسمو   فــإذا بــي الآزال والآبــاد



١٤٦

الشمس والذرة

هذه الذرة الخفية فيها عالم من صنيعك المستور
وذكاء التي تضيء علينا نقطة من كتابك المنشور

١٤٧

إنما النور والظلام بياض ومداد لقارئ ذي بصيرهْ
رُبَّ سطر من السواد تراه أعين القارئين شمسًا منيرهْ

١٤٨

امض في الحق جاهدًا لا تبالي مستقيمًا على الصراط السوي
لا تزلزلك صيحة من جهول أو حسود، أو دعوة من غوي

١٤٩

سر هذه الحياة جذب ودفع وكفاح، لخيفة أو رجاء
وهو في الفعل سادر لا يبالي بصحيح الفعال أو بالسقيم

١٥٢

تاجر العلوم

يملأ الكتب حكمة وعلومًا هو منها بمعزل في الصميم
لست والله عالمًا أو حكيمًا إنما أنت تاجر في العلوم

١٥٣

أي سر يفشي النسيم صباحًا   فـيـمـيـل الـحـنـين بـالأشـجـار
هل لنجوى النسيم والغصن لحن   قـد وعـاه مـغـرد الأطـيـار؟

١٥٤

قيل: هذي الشهور مرت سراعًا   هـكـذا هـكـذا مـرور الـلـيـالـي
قلت: هذي السفين مرت خفافًا   أثـقـلـوهـا بـصـالـح الأعـمـال

١٥٥

يثقل العيش والزمان بنفسي   مـرهـقًـا بـالـقـيـود والأعـبـاء
ثم تأتي ذاكراك خطفة برق   فإذا بي محلق في السماء

١٥٦

ذلك الجسم من عظام ولحم   من هواه وعمره في حدود
مسه منك نفحة أو شعاع   فتعالى يطير شطر الخلود

١٥٧

قلت للطائر المغرد: مهلًا قد أطرت النعاس عن أجفاني[٤٤]
قال لي: همك النعاس فدعني لشرار يطير في ألحاني

١٥٨

وقت السحر

كيف يخلو المنيب لاستغفار حين يغفو العباد بالأسحار
وتعالى التسبيح من كل شيء ورمته النجوم بالأنظار[٤٥]

١٥٩ ت

سكن الكون والظلام ولكن ملء نفسي من المعاني عجيج
في سكون الظلام تبدو رموز كرموز الألحان فيها ضجيج[٤٦]

١٦٠

كمثل الحمار يحمل أسفارًا

تطلب العلم جامع الأسفار ما لها في الفؤاد من إسفار
أَوَعَيْت الأسفار في الصدر حفظًا أم حملت الأسفار فوق حمار؟

١٦١

على شاطئ البحر

قهقه البحر إذ خطرت على الشط ضـئـيـلًا، أتـيـه فـي تـخـطـاري
أيـهـا الـبـحـر رب بـحـر تـراءى في ضميري كقطرة في بحار

١٦٢

في الطائرة[٤٧]

قد ركبنا الرياح فوق سحاب وشققنا الفضاء جنح الظلام
قد بلغنا بالعلم أمرًا عجيبًا أيـن مـنـه عـجـائـب الأحـلام

١٦٣ ت

بلغ الناس بالعقول وبالعلـ ـم مكانًا لم تَرجُه الأوهام
آه لو تصحب العقولَ قلوب فيشيعَ السلام بين الأنام

١٦٤

وردة الصبح

وردة الصبح! ما الذي بلغ الطل عن الغيب سحرة فابتسمتِ؟
والـنـسـيـم الـذي أسـر حـديـثًـا مـا الـذي بـثـه إلـيـك فـهـمـتِ؟

١٦٥ ت

أيها الورد هل تيقظت إذ مر ... شعاع من الصباح منير
أم رأيت الحياة يقظة ساع[٤٨] ... وحماك المنامَ عمر قصير

١٦٦

في ضوء القمر

أضياء يهب في الجو رَوحًا ... أم نسيم به الفضاء يُضاء
مزج الحب والجمال بنفسي ... مثل ما خالط النسيم الضياء

١٦٧

بين البسط والقبض

تارة تغلق المعاني جميعًا ... فكأن الأكوان جسمي الصغيرُ
ثم تبدو من الضمير معان ... فإذا الكون قد حواه الضمير

١٦٨

على الشاطئ بعد الغروب

قد تفردتُ حين أدركتُ نفسي ... هذه الخلوة البعيدة أنسي
لا أبالي ضوضاء موج وريح ... إن عَدَتني ضوضاء جن وإنس

١٦٩ ت

عندكَ البحرُ ضجَّة وزخيرُ وهو في خُطبةٍ يعيها الخبير
وتَرى الموج ثورة وهياجًا وهو في صفحة الزمان سطور

١٧٠

إن في ضَجَّة النهار حجابًا ولدى الليلِ غفلة النَّوْمان
نحن يقظى وكلُّ سِرٍّ خَفِيٌّ ونيامٌ إذا تلوح المعاني

١٧١

على الشاطئ

قال لي البحر: كم تلبَّثتَ عَنِّي! حبستْك الديارُ عن آفاقي
أنت نعم النجي، تسمع مني وتَلَقَّى الأسرار من أعماقي

١٧٢

في القمراء

أسمع الهمس في سنا الأزهار ثم نجوى النسيم والأشجار
ثم أصغي إليه لحنًا جهيرًا هام فيه مغرد الأطيار[٤٩]

١٧٣

الطير والزهر

قلت للطائر المغرد: مهلًا ما نواح بسحرة وبكور؟
قال: دعني فلست أملك صمتًا أنا أتلو سطور هذي الزهور[٥٠]

١٧٤ ت

قلت للروض بين طير وزهر: هذه الطير قارئات الزهور؟
قال: كلا بل الزهور سطور من أمالي شاديات الطيور[٥١]

١٧٥

قلت للقلب: كم تَعُبُّ ضياءً! مستهامًا في هذه القمراء
قال لي القلب: بل يفيض ضيائي فتراه ضياءَ كل ضياء

١٧٦

مراجعة الشعر

أيها الشعر قد هُجرتَ زمانًا شغلتني عن وحيك الضوضاء
وأرى في هُتافك اليوم شغلًا عن أمور يعافها الحكماء

١٧٧ ت

قد تركت الأشعار ثورة حر ثم راجعتها بقلب حكيم
كانت الأمس في السحاب بروقًا وهي اليوم ديمة في نسيم[٥٢]

١٧٨ ت

إنما الشعر حكمة في البرايا أخذتها النفوس بالتلوين
فهي تحمر من دماء قلوب وهي تبيض من ضياء عيون[٥٣]

١٧٩

كيف نجاهد في هذه الحياة

نطلب الأمر في زَماع وجدٍّ وإباء وعزة لا تخور
فإذا واتت الأمور، وإلا فغنانا عن الأمور كبير

١٨٠ ت

لستُ في العيش زاهدًا غير أني لا أُذيلُ الأخلاقَ في تأميله
ليس في العيش مطلب هو أهل أن تُضاع النفوس في تحصيله

١٨١

في القمراء

ملأ الأرض والسماء هدوء وأفاضت شعاعها القمراء
كل شـيء لـهدأة وسـلام ومن الناس هذه الضوضاء

١٨٢ ت

يـمـلأ الـكـون وحـدة ونـظـام ولـحـون يـحـسـهـا الـشـعـراء
لا يـخـل الألـحـان والـوزن إلا ضجة الناس ضج منها الفضاء

١٨٣

ميلاد الرسول[٥٤]

قيل: نحيي ميلاد خير رسول ولذكراه في النفوس جلال
قلت: نحيي ألفاظَها بكلام وتُميت الـمـعـانـيَ الأفـعـالُ

١٨٤ ت

يا رسول السلام والبر والرحـ ـمة والعدل والسنا والسناء
إن ذكـراك مـولـد لِـمـعـانٍ أبد الدهر ما لها من فناء

١٨٥ ت

إن بيني وبين ذكراك عهدًا ... أن تشيع الضياء في أرجائي
وتصب الغيوث فوق مواتي ... وتنير الرياض في صحرائي

١٨٦ ت

كلما أظلم الرجاء وحرنا ... وادلهمت على السفين السبيل
لاح من ذكرك المنير رجاء ... وضياء وغاية ودليل

١٨٧ ت

ألف داعٍ مضلل ومناد ... وظلام وَعِثْيَرٍ ودخان
ويناجي القلوبَ منك ضياء ... ويشق الضوضاء منك أذان

١٨٨

يمحق الدهر كل عين وشخص ... ثم يغشى التذكر النسيان
غير أن الإحسان يبقى عليه٥٥ ... لا يُغَشِّي على سناه الزمان

١٨٩

دعاء

رب هب لي على الزمان يقينًا   واملأنِّي من اليقين سلامَا
واجعلنِّي على التقيِّ زُلالًا   وعلى الظالم الغَوِيِّ ضِرامَا

١٩٠

الهلال[٥٦]

يا هلالًا يلوح بعد غياب   فيشيع السرور في الآفاق
كم تلاقٍ أُجِدَّ بعد فراق   وفراقٍ أُجِدَّ بعد تلاقِ!

١٩١

على ساحل البحر حين الغروب

فسحة البحر ملء نفسي وحسي   وبعيني أشعة من ذُكاء
فاملأنْ يا قديرُ عيني ونفسي   وفؤادي طهارة وضياء

١٩٢ ت

اجعلني كالشمس فيض حياة   كل يوم جديدة الإشراق
واجعلني كالنبع صفو زُلال   كل حين مجدد دفاق

١٩٣ ت

أيها الطائر الوحيد على الشط أجبني فأنت مثلي وحيد
إن في الخلوة اجتماعًا لنفس وبها جَلوة وفيها شهود

١٩٤ ت

لست أخلو لغفلة وسكون وفرار من الورى وارتياح
إنما خلوتي لفكر وذكر فهي زادي وعُدتي لكفاحي

١٩٥

لا يبالي الأنام من غاب عنهم وهو فيهم على رجاء الإياب[٥٧]
كيف من غاب لا يُرَجِّي رجوعًا! كيف من غاب ثاويًا في التراب!

١٩٦

قيِّدنْ فكرك الشرودَ بأمر ذي صلاح ولا تدعه يهيم
لا يطيق السكون طرفة عين ومريء مراده أو وخيم[٥٨]

١٩٧

تهبط الرغبة الدنية بالنفـ ـس ويسمو بها عظيم الرجاء
فامنحَنْها من العظائم عزمًا وجناحًا تجُز عَنان السماء

١٩٨

هلال رجب[٥٩]

رجب في السند ازدهاه هلال بسناه أضاء مكنون سري
يا جديد الهلال! أنت قديمًا فوق بغداد، هجت شوق المعري[٦٠]

١٩٩

وفاة صديق

راعني في البعاد نعي خليل كان في غمرة الحياة شقيقي
علمتني مصيبة الدهر فيه أن نصف الممات موت الصديق[٦١]

٢٠٠

على الساحل

قلت للبحر ما ضجيج ولغو دائم؟ قال: فاتك الإلهام
ذاك في مسمع الجهول ضجيج وهو في مسمع الحكيم كلام

٢٠١

الشعر

يهبط الشعر نَحلة في رياض أو فراشًا يطوف حول الزهور
إن تـكـن روضـة أتـاك وإلا لـم تـجئك الأشـعـار بـالـتدبير

٢٠٢

دعاء

يا ضياء العيون في كل جنح ورجاء القلوب في كل ياسِ
املأ الـقـلـب من رجـاء ونـور وَاهْدِيَنًّا في كل خطب عَماسِ

٢٠٣

أنا بالله في الحياة قويٌّ وبه في الخطوب حُرٌّ أبيٌّ
إن أكن عبدَه بحق فإني بـغـنـاه عن الـعـبـاد غَنِـيٌّ

٢٠٤

يا حبيس البيوت! يومُك فيها فـي حـدود الأبـواب والأسـوار
مطلع الشمس كُوَّة في جدار ولـهـا مـغـرب وراء جـدار[٦٢]

٢٠٥

طهارة الفكر

عن بذيء الكلام يسمو كلامي وأكف الفعال عن كل ذام
كيف بالفكر وهْو ومض بروق كيف أسمو به على الآثام؟

٢٠٦

ما مضى من العمر ربح[٦٣]

لا يهولَنْك ما مضى من زمان إنه الغنم في جهاد الحياة
ما مضى كسبك المحقق فيها وظنون من الحياة الآتي

٢٠٧ ت

ليس ما فات من حياتك خسرًا إن ملأت السنين والأياما
قيل لي: قد خسرت خمسين عامًا قلت: كلا ربحت خمسين عاما

٢٠٨

لا تضق بالمزاح نفسًا ففيه تفرغ النفس من هموم الزمان
ربما تفزع النفوس إلى الهز ل جمامًا يعدها للطعان

٢٠٩

لا يبالي الأحرار في هذه الأر   ض حدود البقاع والأوطان
ومن الناس من يحرر حتى   لا ترى نفسه حدود الزمان

٢١٠

إن للشعر ساعة هو فيها   فيض نبع مقهقه بالزلال
لا ترمه، إن غاض، بالحفر عنه   فتصبه بحمأة ورمال

٢١١

الجنايات

شُرَطٌ لا تني، وقاضٍ وسجن   والجنايات كل يوم تزيد
أيها الهانئ الجلود تمهل   بَطُن الداءُ والعلاجُ بعيد

٢١٢ ت

ينُبت الشوكَ ذلك الحقل فانظر   كيف تنفي بذوره من ثراه
قاطع الشوك! والتراب وبيء   اقطعنه ما شئت ينبت سواه

٢١٣

الحق والباطل والصلاح والفساد

يرفع الباطل العقيرة حينًا ثم يفنى صداه في الوديان
وترى الحق يخفض الصوت حينًا ثم يعلو مجلجلًا في الزمان

٢١٤ ت

ذِكْرُ المصلحين في الناس تبقى كنجوم تنير في الظلمات
ولأهل الفساد هَبوةُ يوم ثم يفنى الإعصار في الفلَوات

٢١٥

الأحرار والعبيد

تجد الحُرَّ رقة وصفاء وزُلالًا يُسيغه الإخوان
ويُسام الهوان يومًا فيأبى فإذا الماء مارج ودخان

٢١٦ ت

لا يغرنك فخر قوم تعالوا وادعوا أنهم أكابر صِيدُ
هم على هامة الضعيف ملوك وعلى سُدة القوي عبيد

٢١٧

ذا زمـان لـفـتـنـة وخـداع ضـاق فيـه مذاهب الأحـرار
فالزم النهج واسأل الله هديًا لا تـغـرَّنْـك دعـوة الأغـرار

٢١٨

التعليم والتربية

رببوا النشء جهدكم في بيوت فـي ظـلال الآبـاء والإخـوان
ما ازدهار النبات وهو غريب كازدهار النبات في الأوطان

٢١٩ ت

لا تظنوا التعليم درسًا وحفظًا هو سقي النفوس ماء الحياة
اجعلوا عينَيِ المعلم في النش ء شعاع الشموس فوق النبات

٢٢٠

الوحش والإنسان

قلت: يا صاحبي أتعرف وحشًا في بني جنسه يواصل فَرْسه؟[٦٤]
قال لي: ما علمت في الأرض وحشًا غير هذا الإنسان يفرِس جنسهْ

٢٢١ ت

لاصطياد الوحوش بندقُ رمي وببعض الآلات شَقُّ الجبال
ولحرب الإنسان كل سلاح ما وعاه الشيطان يومًا ببال

٢٢٢

إبليس يهجر الأرض



قال إبليس: يا بني هلموا   نهجر الأرض خيفة الإنسان
هو يصلى بناره وستصلى   بلظاه قبائل الشيطان

٢٢٣

الأستاذ الحق

ليس أستاذنا الملقن درسًا   ومجيل الأقلام بالتصحيح
هو من يقرئ الزمان ويقفو   صفحات الأيام بالتنقيح

٢٢٤

على الشاطئ

قال لي البحر: كم تسير بشطي   وتطيل التحديق في مرآتي
قلت: أصغى إلى وغاك وأمضي   آخذًا للموات شعر الحياة

٢٢٥

سنن الله في الخلائق تمضي   لا تني ساعة وليست تحول
وخلال الأحرار منها، فليست   عن جهاد في الحق يومًا تزول

٢٢٦

اتـقـوا الـلـه رُب لـفـظ غـوي يقذف النشء في مهاوي الفناء
أسمعوا النشء كل لفظ أبي يرفع النفس مصعدًا في السماء

٢٢٧

ضيق الألفاظ عن المعاني

رب معنى يأبى على كل لفظ وعلى حكم كل قيد يثور
قد جعلنا الألفاظ فيه رموزًا وتعالى بجوه التفكير[٦٥]

٢٢٨

نُطقه الذكرُ، والسكوت لفكر ومجال العينين في الإِعتبار[٦٦]
ذلكم في الحياة أعلى مقام نافسوا فيه يا أولي الأبصار

٢٢٩

حرية وعبودية

هو حر يجل عن كل قيد من تراث الآباء والأجداد
فإذا جاءه من الغرب قيد فهو عبد يتيه بالأصفاد

٢٣٠

فلك دائر وصبح ومُسي أخذ الناس في الزمان دوار
حرر النفس من نهار وليل تجد الدهر ما به تكرار

٢٣١

عش غراب[٦٧]

رقص العُشُّ في غصون ضعاف في مهب الرياح، فرخى غراب
أيُّ بانٍ بنى فأحكم عُشًّا ثابت الأُسِّ فوق ذا الاضطراب!

٢٣٢ ت

طار عن عشه وفرخيه خوفًا قد عراه من اقترابي ارتياب
جرَّب الناسَ فاستراب بقربي لستُ منهم فلا تَخَفْ يا غراب

٢٣٣ ت

لغراب يزق فرخيه جهدًا[٦٨] قلت: أنى الطعام للغربان؟
قال: أنى وأين ريبٌ وعجز ما لدنيا وساوس الإنسان[٦٩]

٢٣٤

إن هذي القلوب تهدي لخير　　كل حين ولا تَباَعدُ منه
إبر المغنطيس للقطب تهدي　　أبد الدهر لا تَحَوَّل عنه

٢٣٥

من أذلته حاجة في معاش　　هو أولى برحمتي من ملامي
الُمليم الذي يواتيه قوت　　ثم يهفو إلى ذليل الطعام

٢٣٦

على شاطئ البحر

قال لي البحر: ما يروقك مني؟　　كل يوم تجول في شطآني
قلت: وُسع المدى وغور بعيد　　وجهاد على مرور الزمان

٢٣٧ ت

قلت للبحر: ما تضمن بحر　　من حياة وقيعة وجبال؟
قال لي البحر: ما تضمن فكر　　واسع من حقيقة وخيال؟

٢٣٨

الحياة والطبيعة

يا حبيسًا بالدور خدن كتاب قارئًا من مقال كل عليم!
ابرُزن للحياة واقرأ سطورًا ماثلات لعين كل حكيم

٢٣٩ ت

يا أسير الظلال خلف جدار شاحب اللون مثقلًا بالهموم
ابرُزن للرياح والشمس وامرح وتفتَّحْ تفتُّحَ البُرعوم

٢٤٠

امض في العيش لا تعُدَّ أسيفًا ما مضى في الحياة من أعوام
لا تُبلْ أن يكون يومك جزءًا من قليل السنين أو ألف عام

٢٤١

عاد من سَفرة فقير مُقل حاملًا للصحاب شتى الهدايا[٧٠]
كم كثير قد قللته خِلال وقليل قد كثرته السجايا!

٢٤٢

على شاطئ البحر

أنا والبحر والفضاء وهمي   أبحر بعضها لبعض نجي
بيننا في الحديث أخذ ورد   ويخال الصحاب أني خلي

٢٤٣ ت

تسكن النفس حين آوي إلى البحـ   ـر وأفضي إليه بالأسرار
أسلام البحار يدخل قلبي   أم همومي تسيل نحو البحار؟

٢٤٤

قلت للطائر المغرد ليلًا: لا تغرد فذاك وقت سُباتِ
قال لي: يا جهول! إن حياتي   لا أراها أسيرة الأوقات[٧١]

٢٤٥

قالت النفس: قد علمت كثيرًا   قلت: هذا الكثير نزر يسير
تملأ الكوز غَرفةٌ من محيط   فيرى أنه المحيط الكبير

٢٤٦

تبسط النفس في فسيح البراري   وهي بحر على شطوط البحار
وأراها تضيق في ظل حبس   بين سقف وكوة وجدار

٢٤٧

لست أخلو لراحة وسكون   وفرار من الأنام بنفسي
أنا أخلو لأهبة ومحال   آخذًا للجهاد سيفي وتُرسي

٢٤٨

الطير والإنسان

أكبر الظن أن طير السماء   بَرِمَاتٌ بهذه الضوضاء
تُهرع الطير للعشاش مساء   وضجيج الإنسان بعد المساء

٢٤٩

قتل إبليس

قال لي صاحب: سأقتل إبليـ   ـس وأُكفى وساوس الشيطان
قلت: أرجئْ قتال إبليس لكن   أفرغ النفس من وساوس الإنسان

٢٥٠

كل شيء يقظان حاشا الإنسان

غردت في صباحها الأطيار فأصاخت عيونها الأزهار
أيها النائم الصباح تنبه قد دعتك الأزهار والأطيار

٢٥١ ت

ذرت الشمس في ذرى الأكوان وسرت في النبات والحيوان
كل شيء أراه يقظان لكن أفسد النظم َغفلةُ الإنسان

٢٥٢

اسعيَنْ مصلِحًا ولا تألُ جهدًا وارْقُبَنْ في العباد رب العباد
ثم لا تبتئس بخيبة سعي أو بما يفتريه أهل الفساد

٢٥٣

لست آبى توفير مالي لدهري باذلًا منه في رخاء وبأس
إن يكن في يدي، وليس بقلبي وهو ملكي، وليس يملك نفسي

٢٥٤

ما على الناس لو أرادوا صلاحًا وسعوا في البلاد بالعمران
وتواصوا بكل حق وبر وتآخوا على صروف الزمان!

٢٥٥

الحرية

حد حرية الجماعة حتى يحكم الفرد في هواه القيودا
إن حرية الجماعة فوضى حين يعدو الآحادُ فيها الحدودا

٢٥٦ ت

قيد الحر نفسه برضاه وأبى في الحياة قيد سواه
وترى العبد راضيًا كل قيد غير تقييد نفسه عن هواه

٢٥٧

صلة الإنسان بالإنسان

قد عُنينا بالناس حتى سألنا كيف حال الأدنى وكيف البعيد؟
وعنانا الذي مضى من قرون وعنانا من بعد جيل جديد

٢٥٨ ت

نحن ركب الحياة، جيلًا فجيلًا وصلـتـنـا الـخـطـوب والأزمـان
ما سرت في حُدائنا «أنا وحدي» أو سرت فيه «بعدي الطوفان»[٧٢]

٢٥٩ ت

نحن في ذي الحياة ركب سفار يصل اللاحقين بالماضينا
قد هدانا السبيل من سبقونا وعـلـيـنـا هـدايـة الآتـيـنـا

٢٦٠

النغمات والألحان

قيل لي: أفتنا فهذا إمام ذو تقاة يهيم بالنغمات
قلت: بعض اللحون عندي أذان تملأ النفس دعوة للصلاة

١٦١ ت

إن بعض اللحون برد نسيم ينضح النفس في حرور الحياة
وهي في مهمه الحياة كنبع لظماء يثر في الفلوات

٢٦٢

أشعل النفس بالرجاء وأقدم　　　درگًا لا تبالُه أو فواتا
كدت من نشوة الحياة أرجي　　　أن أوقي مشيبها والمماتا

٢٦٣

أبصرن في الظلام بسمة فجر　　　وضياء الإيسار في كل عسر
كم ترى في الضحى شعاع ظلام　　　وتخاف الإعسار في كل يسر؟

٢٦٤

قلت للشعر: ما نأى بك عني؟　　　قد أطلت المغيب عن أجوائي
قال: ما غاب عن ذراك شعاعي　　　اصقل النفس ثم قابل ضيائي

٢٦٥

في مدينة كويتة من بلوخستان

قال لي طائر: نسجتُ نشيدي　　　من نسيم وظُلمة وضياء
قلت: لكنني نسجت نشيدي　　　من رجاء وبسمة وبكاء[٧٣]

٢٦٦ ت

زجرت كلبها وقد ذاق رَوثًا ودعته للعَتب والتدليل
وإلى الروث راغ من بعد لَأْيٍ هازئًا بالعناق والتقبيل[٧٤]

٢٦٧ ت

قلت للسَّفْر: ما صحبت كتابًا قيل: فاقرأ فكل هذا كتاب
اقرأن في الطريق سطرًا فسطرًا عجزت عن مثيله الكُتَّاب

٢٦٨

في الطريق من كويتة في بلوخستان إلى يعقوب آباد في السند

رام قوم من التماثيل خلدًا لم ترشح فعالهم لخلود
وحبت أهلها الخلود فعال دون شكل ممثل مشهود

٢٦٩ ت

قال لي صاحب: طريق بعيد وأرى غاية تفوت المسيرا
قلت إني أقيس ما قد قطعنا قد بعدنا، فقد قربنا، كثيرا

٢٧٠ ت

قلت للصحب والمرام بعيد: أبعد الله من يهاب البعيدا
إنما البعد في العزائم لا الأر ض، تزود للبعد عزمًا شديدا

٢٧١ ت

قلت للمطرب الحماسي مرحى! أشعلن اللحون. تفديك نفسي
اجمع الحب والسيوف فقدمًا رام لثم السيوف شاعر عبس[٧٥]

٢٧٢ ت

اشفني باللحون تنفث نارًا إن في النغمة الذليلة دائي
اجعل اللحن قوة ومضاء كصليل السيوف في الهيجاء

٢٧٣

على بحر العرب وفي الطريق إليه[٧٦]

ذكرني إذا نسيت وغني نغمات تهيِّج الشوق مني
وتبث الشرار بين خمودي وتزيل الظلام والريب عني

٢٧٤ ت

يسمع القلب كل حين نداء   من وراء الأسماع والأفهام:
أفن فيك الأيام لا تفن فيها   إنـمـا مـنـك دورة الأيـام

٢٧٥ ت

قلت للقرم وهو يطوي هجيرًا   فـي هـديـر وعـزمـة وهُـيـام:
ما وراء المسير؟ قال: مسير   إنـمـا عـيـشـنـا لـسـيـر دوام

٢٧٦ ت

لـهدير البـحـار تـصـغـي نـجـوم   فـي ضـيـاء عـلـى الـبـحـار مـنـيـر
هل أطلت هـذي الـكواكب يومًا   لا ترى الوجه في مرايا البحور[٧٧]

٢٧٧

أمــل دائــب وســعــي دوام   ووميض الأفكار، معنى الحياة
يـقـظـة الـعـين لـلسبات ولـكن   يقظة العمر ما لها من سبات[٧٨]

هوامش

(١) كل رباعية فيها ذكر البحر من هذه الرباعيات أنشئت على شاطئ بحر العرب في كراچي أو قريبًا منها.

(٢) الخطاب للخلاق جل وعلا.

(٣) كل الرباعيات من البحر الخفيف إلا هذه الرباعية والتي بعدها نظمتهما في الرمل ولم أغيرهما.

(٤) إنما يكمل التوحيد بالنفي التام والإيجاب فهما كالقطبين السالب والموجب في الكهرباء لا تكون بدونهما.

(٥) يكتئب الإنسان حينًا غير عالم سببًا ظاهر للاكتئاب.

(٦) لا يكذب.

(٧) للشعر بواعث بعيدة وقريبة وظاهرة وخفية لا يحيط بها الشاعر.

(٨) الحسن يؤثر في النفس، وبالنفس يقوم الحسن.

(٩) إن خالف الإنسان الناس وهو على يقين من رأيه وعمله فهو في عالمه ليس غريبًا وهم غرباء عنه.

(١٠) كتبت في ذي الحجة سنة ١٣٧٢هـ/سبتمبر١٩٥٣م.

(١١) في القرآن الكريم: ﴿يَرْفَعِ اللهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنكُمْ وَالَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ دَرَجَاتٍ﴾.

(١٢) نظام العالم قائم بالتجاذب والانتظام.

(١٣) مطلع قصيدة البحتري.

(١٤) الحياة فيها جسم وروح وعقل. فلماذا يعنى فيها بالجسوم وحدها؟ إن أردنا الحياة حقًّا فعلينا أن نعنى بالثلاثة.

(١٥) إذا جرح ذئب فتكت به أصحابه. وإذا غلب كلب كلبًا هجمت الكلاب الأخرى على المغلوب. هذا رأيته مرات. ويقول الشاعر:

فكنت كذئب السوء لما رأى دمًا   بصاحبه يومًا أحال على الدم

(١٦) التحلىء: المنع من ورود الماء.

(١٧) رموز اللحون هي علامات الموسيقى. هذه العلامات صور ينطق بها اللحن، وكذلك الشعر ينطق عن الأزهار التي هي للشاعر كعلامات الموسيقى للمطرب.

(١٨) النون في بقينا وبلينا نون النسوة مع ألف الإطلاق.

(١٩) الخابط: السائر على غير هدى. وإبر السفين: إبر المغناطيس. وإبرة الضلوع: القلب.

(٢٠) رأيت زهرات ناضرات في حديقة السفارة في كراچي قبل طلوع الشمس فألهمتني هذه الأبيات.

(٢١) الشيات: جمع شية. وهو لمعة من اللون بين ألوان أخرى.

(٢٢) مأخوذ من قول جلال الدين الرومي:

خشك جوب وخشك تار وخشك بوست   أزكجا مي آيدابن أواز دوست

(٢٣) أهذا الصوت رنين العود أم أنينه وهذا الأنين في صدر العود أم في صدر العازف الذي حنا على العود؟

(٢٤) الجمال يوحي الشعر والشعر يحيي الجمال ويقومه.

(٢٥) في الأثر: «لو توكلتم على الله حق التوكل لرزقتم كما ترزق كما ترزق الطير؛ تغدو خماصًا وتروح بطانًا» وتوكل الطير خروجها للرزق واثقة به غير هائبة ما تلقى في طلبه، لا مكثها في أعشاشها.

(٢٦) يقول المعري:

أبكت تلكم الحمامة أم غنْـ   ـنَت على فرع غصنها المياد

(٢٧) تجيش النفس بمعان من الشعر فيسكت عنها حينًا ويعبر عنها حينًا ففي سكوت الشاعر شعر خفي أحيانًا.

(٢٨) السرء بيض السمك: ويقال إن نوعًا من السمك يهاجر إلى البحر الأبيض من خليج المكسيك فيبيض ثم يرجع، وإن لأنواع من السمك هجرات كهذه.

(٢٩) ينبغي للطائف ألا يلبس مخيطًا محيطًا بجسمه إلخ وإلى هذا الإشارة في «كل إثم محيط».

(٣٠) قلوب المظلومين وأكبادهم. وفي الكلام تورية بالقلوب والأكباد التي تؤكل.

(٣١) الشمس ظاهرة كل حين، ولكن جهات الأرض تحتجب عنها وتظهر لها. وكذلك حقائق هذا العالم بينة في نفسها، ولكنا ندركها حينًا ونجهلها حينًا.

(٣٢) أبو العلاء المعري. والبيت الثاني من اللزوميات.

(٣٣) رأيت في حديقة فراشًا يطير حول زهر وفوق ماء فكتبت هذه الأبيات.

(٣٤) شهدت حفلًا للمولد في دار أحد الكبراء في كراچي (١٢ ربيع ١٣٧١) والقوالون يغنون بمدح الرسول ويصفقون ويطبلون.

(٣٥) رأيت باقة زهر وأنا في مدينة سلهت في أقصى باكستان الشرقية فلمستها فإذا هي ورق مصنوع فنظمت هذه الأبيات.

(٣٦) رأيت قبرين عليهما قبة في حديقة الحاكم بمدينة داكا فسألت عنهما فلم يعرف أحد صاحبيهما، فكتبت الرباعيتين.

(٣٧) هذا نقض لقول المعري:

إن دنياك من نهار وليل وهي في ذاك حية عرماء

(٣٨) خافق ملهم: القلب.

(٣٩) ترجمة بيتين لحافظ الشيرازي:

مرا مكوى كه خاموش باش ودم دركش كه درچمن نتوان يافت مرغرا خاموش
أكر نشان تو جويم كدام صبر وقرار أكر حديث تو كويم كدام طاقت وهوش

(٤٠) الحياة سير، ونحن نسير فيها بأجسامنا. وأفكارنا تسير أيضًا.

(٤١) كلما خفقت الريح حسبتها أمها وأباها.

(٤٢) يصيد الإنسان الطير لاهيًا غير مفكر فيما وراءها من أفراخ.

(٤٣) الساع: جمع ساعة.

(٤٤) طائر أسود يسمى الكويل صاح حين الظهيرة في رمضان وأنا أحاول النوم فنظمت هذه الرباعية.

(٤٥) المتأمل يكاد يسمع تسبيح كل شيء ويحسب النجوم ناظرة إليه فلا يجد الخلوة.

(٤٦) الناظر في ألحان الموسيقى يتصور الأصوات التي تدل عليها فكأنه يسمع ضجيجًا من هذه الرموز.

(٤٧) نظمت في طائرة بين بغداد وكراچي في ١٢ تموز ١٩٥٣م.

(٤٨) جمع ساعة.

(٤٩) جمال الأزهار يتحدث إلى الناظر إليها دون صوت. ثم يسمع صوتًا خفيًا في حفيف الشجر ثم يجهر الصوت في تغريد الطير. وكل أولئك ألحان متصلة.

(٥٠) الزهور كرموز الموسيقى يفصح عنها الطائر المغرد.

(٥١) تخيل الشاعر في البيتين قبل هذين أن الطير تقرأ سطور الأزهار وفي هذين يسأل عن هذا فتقول الروضة إن الطير ليست قارئة ولكن تملي فأصواتها تكتب رموزًا فإذا هي الزهر. تناسق بين الزهر وتغريد الطير يتردد المتأمل فيه، هل الطيور تقرأ رموزًا مكتوبة أو تملي ألحانًا تظهر في صورة الأزهار.

(٥٢) الديمة المطر الدائم تسكن الريح فيستمر.

(٥٣) كل حقيقة في العالم تصلح للشعر إن مستها العاطفة أو صورها الخيال.

(٥٤) سنة ١٣٧٣هـ.

(٥٥) على الدهر.

(٥٦) ربيع الثاني سنة ١٣٧٣.

(٥٧) الفكر لا يفرغ فإن لم يشغل بالصالحات شغلته السيئات.

(٥٨) نظمت هذه الرباعية في مصر حين توفي فريد وجدي رحمه الله وشيعت جنازته. فلم أر كثيرًا من الناس كما كنت أرجو.

(٥٩) سنة ١٣٧٣هـ.

(٦٠) يقول المعري من قصيدة أنشأها ببغداد مطلعها:

طربن لضوء البارق المتعالي ببغداد وهنًا ما لهن وما لي

دعا رجب جيش الغرام فأقبلت رعال ترود الهم إثر رعال

(٦١) كتبت حين جاءني نعي الصديق حمزة طاهر رحمه الله.

(٦٢) هذه دعوة إلى الخروج من ضيق الحضر إلى فسحة الطبيعة. وقد كررتها في الشوارد والنفحات، والمعنى أن الذي يلزم الدور يضيق عليه الكون فتطلع الشمس عليه من كوة ثم يحجبها عنه جدار فتغرب عنه.

(٦٣) ما مضى من عمر الإنسان هو ما كسبه من الزمان وحقق فيه آماله. فهو ماثل لديه، وهو حقيقة حياته، إن كان قد جاهد فيه جهاد الأحرار، وكتب صفحات رائعات. وهذا خلاف ما يقال إن الماضي لا وجود له وإنما الوجود للمستقبل.

(٦٤) الفرس: الافتراس.

(٦٥) بعض المعاني لا تمكن الإبانة عنها بالألفاظ فهي رموز يدخل منها الفكر إلى آفاق المعاني الواسعة.

(٦٦) جاء في حديث نبوي: «وأمرت أن يكون نطقي ذكرًا وصمتي فكرًا ونظري عبرة.»

(٦٧) رأيت في كراچي عش غراب على شجرة قريبة من مسكني وهو بين غصون ضعاف في ذروة الشجرة لا يكاد يسكن ساعة.

(٦٨) زق الطائر فرخه: أخرج ما في حوصلته فرضعه في فم الفرخ.

(٦٩) الطير تطلب رزقها واثقة به عازمة عليه لا يصدها عنه شيء فلا تقول أين الرزق وأنى أجد الرزق.

(٧٠) رأيت خادمًا راتبه قليل عاد من سفر يقدم إلينا هدايا من بلده. فالضيق والسعة في الخلق لا في اليد.

(٧١) الحياة القوية الحرة لا تقيدها الأوقات، ولا يأسرها حكم الزمان والمكان.

(٧٢) الحياة مستمرة والأجيال متلاحقة. فليس لواحد في ركب الحياة أن يعنى بنفسه وحدها دون السائرين معه، ولا لهذا الركب أن يقول لا أبالي بمن يأتي بعدي.

(٧٣) هذا فرق ما بين الطير التي تساير الطبيعة بغرائزها، والإنسان الذي له عقل وعاطفة وأماني.

(٧٤) أضحكني، وأنا أشهد لعب الكرة والصولجان في كويتة، منظر كلب أسود يتذوق روثًا وصاحباه يزجرانه ويناديانه فلا يبالي. ثم حملته صاحبته تنثر الروث من فمه ولبثت حينًا تدلله في حجرها وتمسحه وتلومه. وانتهز غفلة منها فجرى يملأ فمه من الروث واتبعه صاحبه يحمله في خجل ويخرج ما في فمه. ذلكم فرق ما بين الطبع والتطبع.

(٧٥) إشارة إلى قول عنترة العبسي:

فوددت تقبيل السيوف لأنها   لمعت كبارق ثغرك المتبسم

(٧٦) نظم هذان البيتان وما بعدهما يوم الأحد ١٨ صفر سنة ١٣٧٤هـ/١٧ أكتوبر ١٩٥٤، وبهما أختم هذه المثاني.

(٧٧) هل كانت النجوم قبل البحور فنظرت فلم تر وجهها في الماء؟

(٧٨) يقظة العمر: حياة الإنسان كأنها استيقاظ من العدم. وهذه لا يدركها النوم ما دام الإنسان حيًّا، فليحذر الإنسان أن يجعل هذه اليقظة نومًا.